AIJLLS SEPTEMBER 2020 | VOL 4 ISSUE 10
مجلة اللسان الدولية / العدد العاشر (سبتمبر 2020م/ 1441 هـ)
الترقيم الدولي ISSN 2600-7398

دور اللغة العربية في تنمية ثقافة السنغاليين ، دراسة بلاغية

الدكتور أحمد دام جوب

قسم اللغة العربية بجامعة إلورن، نيجيريا

ahmad.dd@unilorin.edu.ng

ملخص البحث

دخلت اللغة العربية في السنغال مع الإسلام، من القرن الحادي عشر الميلادي[1]ثم أصبحت لغة الدين والعلم والتعليم والتواصل والتدوين والتأليف وقرض الشعر والوعظ والإرشاد والسياسة والاستثمار، تثق السنغاليون باللغة العربية وآدابها ، وفهموا بها القرآن الكريم وعلومه، ومباديء الإسلام وأحكامه وقضاياه ، وكذلك عرفوا باللغة العربية التاريخ القديم والحضارة والثقافة العربية والإسلامية،وقد فتحت اللغة العربية للسنغاليين أبواب العلاقة الثقافية والاقتصادية بينهم وبين العالم العربي ، وقد ألف بعض المتمكنين من اللغة العربية كتبا في العلوم الإسلامية والعربية، وقرضوا الشعر العربي مقطوعات وقصائد جيدة بأغراضه غير الخمريات والمجون والزندقة والخلاعة، وكان أكثر الشعراء السنغاليين يميلون إلى شعر المديح النبوي، والشعر التعليمي ، والتصوف والدعوة والتربية ، وكان أهل اللغات المحلية ، ك"وُلُوفْ،وبُلَارْ وسِيرِيرْ"يكتبون رسائلهم الإخوانية، وأشعارهم الشعبية، ومداولاتهم التجارية بالحروف العربية ، وكان هذا الانتشار بفضل الله ثم بجهود محبي اللغة العربية. وخلال هذه المقالة أدرس مؤلفات لبعض العلماءالسنغاليين – من القرن الثامن عشر الميلادي– استدلالا بها عن دور اللغة العربية في تنمية ثقافتعم والهدف من.المقالة دراسة مدى دور اللغة العربية على تنمية ثقافة السنغاليين .قسمت المقالة على المقدمة ، ودراسة بعض إنتاجات ثمانية علماء شعرا ونشرا دراسة بلاغيةلاستدلال على تأثرهم بالعربية ونمو ثقافتهم بها، ونختتم المقالة بالخاتمة والنتائج والتوصيات .

ABSTRACT

The Arabic language entered Senegal with Islam, from the eleventh century AD, then it became the language of religion, science, education, communication, codification, authorship, poetry loan, preaching, guidance, politics and investment. The Arabic language opened to the Senegalese the doors of the cultural and economic relationship between them and the Arab world. Some of the masters of the Arabic language wrote books on Islamic and Arabic sciences, and they loaned Arabic poetry good pieces and poems with purposes other than wine, promiscuity, heresy and immorality, and he was the most Senegalese poets They tend to the poetry of prophetic praise, educational poetry, mysticism, advocacy and education, and the people of local

languages, such as "Wolof, Ballar and Sirer", wrote their brotherhood messages, popular poetry, and commercial deliberations in Arabic letters, and this spread was thanks to God and then by the efforts of lovers of the Arabic language. During this article, I study the writings of some Senegalese scholars - from the eighteenth century AD - inferring the role of the Arabic language in the development of generalized culture and the aim of. The article is a study of the extent of the role of the Arabic language on the development of the Senegalese culture. Rhetorical to infer their influence on Arabic and the growth of their culture in it, and we conclude the article with a conclusion, results and recommendations.

المقدمة :

للسنغاليين لغات محلية _ك وُلُوفْ وَفُلَانْ وسِيرِيرْ_ يعبرون بها أفكارهم ويتواصلون بها للتخاطب والغنى والنشيد الشعبي وكانت ثقافة متمثلة في التقاليد تابعة للقبائل وكل قبيلة تنفرد بثقافتها وتحافظها وكانت لهم القصص والأمثال والأغاني ولكنها محفوظة في الصدور لا في الأوراق ولهم قاسم مشترك في البعض كالرقص والمصارعة والنظام الملكي1 انتشرت اللغة العربية في المدن وبعض القرى السنغالية مع انتشار الإسلام ولعبت دورا بارزا وفعّالا في تثقيف الشعب السنغالي خلال قرون قبل بداية الاحتلال الفرنسي على أراضي السنغال عام1652م وسيطرتها قهرا عام1887م[1] ،

برز خلال تلك القرون علماء مثقفون بالعربية والإسلامية عن طريق اللغة العربية التي تعلموها قرأة وكتابة في المجالس ثم في المدارس العربية داخل السنغال وخارجها كموريتانيا والمغرب والجزائر ومصر وسودان والمملكة العربية السعودية. وخلال هذه المقالة أدرس بعض العلماء السنغاليين المثقفين بالعربية وبعض مؤلفاتهم النثرية أوالشعرية التي تمثل جزءا كبيرا من ثقافتهم العربية والإسلامية الواسعة من عام 1750م-1984م.

بعض العلماء ومؤلفاتهم:

1-كان الشيخ مختار" جُوبْ" الذى عاش ما بين:(1701-1783م) ممن المثقفين بالثقافة العربية والعلوم الإسلامية التي دفعته إلى تأسيس المدرسة القرآنية في مدينة "كُوكِي" سنة:(1750م) لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم العربية والإسلامية وقد تخرج من المدرسة نخب من العلماء، كان سبطه الشيخ محمّد الكوكيّ منهم أشتهر بتعليم النحو ، وكان يعلم كتاب الإحمرار النحوي الذي ألفه الشيخ المختار بن بون الموريتاني، وبتمكنه من علمي العروض والقافية نظم الإحمرار فى:(469 بيتا)[2] وسماه : هدية المجيد، يقول في المقدمة:

قال محمّد ككيّي الدّار * والأب من ذرّيّة المختار

حمدا لمن قال وماعلّمنا * الشعر جلّ ملكا عبد نا

ثم صلاته على المختار * من العوالم بالاختيار

وآله المنوّرين المنهجا * للناس إذ ليل ضلالهم دجا

سمّيته هدية المجيد * في النحو أومعونة البليد

جعلتها فاتحة الإعراب * للمبتدي كافية الطلاب [3]

تظهر في المنظومة الثقافة اللغوية والأدبية التي منها صور فنية استعملها الناظم لشرح فكرته وبيان أسباب تأليف الكتاب وأهدافه، نرى في الأبيات الأولى حسن الاستهلال بذكر اسمه ومسقط رأسه ونسبه ، وفي قوله:"حمدا لمن قال وماعلّمناه الشعر" إقتباس من قوله تعالى :"وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين" يس، الآية 69 ، و نجده أيضا يصور لنا حال الناس قبل البعثة بأسلوب بياني في قوله: (إذ ليل ضلالهم دجا) ، فشبه الضلال بليل مظلم شديد الظلام على سبيل التشبيه البليغ ليثبت أن المشه والمشبه به مستويان في وجه الشبه ، واستعمل هذا التشبيه بأسلوب التقديم والتأخير الذي يعتبر فنا أدبيا للتخلص من انكسار النظم الموسيقي، ونجد هذا الأسلوب عند المتنبي في قوله:

شاب من الهجر فرق لمّته * فصار مثل الدّمقس أسودها [4]

قدم المتنبي المشبه به على المشبه والأصل: فصار أسودها مثل الدّمقس أيّ الحرير الأبيض تجنبا من الخلل.

ومن قصائد محمد الكوكي الرائعة قصيدته التى هجا بها القاضى"مَجَخَتِي كَلَ" بقوله:

إذا لم يكن بازٍ لدى أيكة صاحا * ترنم فوق الغصن ورقاء ترتاحا

وأرعد منه كلية وفريصة * تحذّر فصم وهو مصغ إذا ناحا

حذار حذار الشد وكلا لعل ما * دنا منك باز فصغ كلّما صاحا

فكيف أجش المرء وهو يروثنى * سأهتك جلباب التفخّر إفضاحا

فيا عجبا حتّى البغاث سمعته * يعيك للاستنسار إذا جدل ساحا

فياعجبا حتّى الإضاة تبحّرت * وذا حزم لا يشاركه ضحضاحا [5]

تناول الشاعر في هذه القصيدة صورا فنيا يشرح بها فكرته ، نراه يتعظم على خصمه "مَجَخَتِي كَلَ" فصور نفسه بازا مشيرا إلى عظمته وقوته،وصور وخصمه ورقاء بغاثة وإضاة مشيرا أنّه يدعى بالعلم ويكثر الكلام لبعده وغيابه عنه ،وذلك على سبيل الاستعارة ، ونراه يستخدم في القصيدة أسلوب الكناية للتعبير عن قدرته على تقليل شأن خصمه وإهباط درجته، في قوله :(سأهتك جلباب التفخر إفضاحا) وفي البيت

الخامس يصوّر خصمه بصورة البغاثة تصغيرا به ، ويصور شخصيته بصورة النسر تكبرا وتعظما عليه على سبيل الاستعارة، و فى البيت السادس استعمل أسلوب التحقير والتهكم قائلا :(ياعجبا الإضاة تبحر) أى النهر يتبحر، و نرى أن القصيدة منسوجة بخيوط الهجاء والفخر على أسلوب الشعراء القدامى.

2- الشيخ القاضى "مَحَنَّتِي كَلَ"من أشهر العلماء والمثقفين بالثقافة العربية والإسلامية ، ولد فى قرية "كَرْ مَكَلَ " [6] سنة :(1835م فى منطقة "كَجُورْ "الواقعة بين المحيط الأطلنطيّ ومنطقتي"جُلُوفْ وسِينْ سَالُـمْ"، كان مَحَنَّتِي ذكيّا و نابغا فى اللغة والنحو والعروض ، وكان فحلا من فحول الشعر العربيّ ، وهو ممتاز فى أغلب أغراض الشعر التى تناولها، وكان يشعر فى نفسه بالتفوق فى مجال الشعر، ويحكى أنّه قال عن شعره " لوكنت حيث تعلق المعلقات السبع على الكعبة، لكانت ثماني أو تحذف غير قصيدتي " ، وقد طرق القاضى الأديب جميع أغراض الشعر العربى من مدح ، وهجاء، ووصف ، وغزل ، وفخر، ورثاء، وتعليم ، وإلى جانب ذلك كان القاضي فقيها تولى القضاء في السنغال. توفي القاضي سنة1902 م.

أذكر نماذج من شعره:

1- قصيدته الغزلية الرائعة التى منها:

تـذكرت أزمـان الهـــوى فالليـاليا * فالايـام من لذات شـرخ شبـابيـا

*إذا ارْكَب طرفا أسود اللون حالكا * كما نشر المصبوغ فى الليل داجي

أخـا مُلْهب ذى درة لـهـديـره * دَوِيٌ كأصوات الخذاريف حاكيا[7]

نرى الشاعر يعبر عن فكرته بصور فنية رائعة منها: تعبير عن شبابه وما كان فيها من لذات اللهو واللعب بأزمان الهوى وأيامها وليالهاعلى سبيل المجاز ، ومنها بيان شجاعته بركوب جود ملهب أسود مقدار سواده كالثوب الأسود المفروش فى الليل البهيم ، وشدّة أنفاسه وجريه وسرعته بصوت الخذاريف وسرعة دورانها.

*وهمزة في (الايام ،أركب) مسهلة للضرورة .

2 - قصيدته الهجائية التى هجا بها الشاعر محمد الكوكي ردّاعليه بنفس البحر والقافية وهي:

فياعجبا حـتى أخـيّ مـحـمّد * ركيك غدا يهجو ابن موسى كما راحـا

وليس بـذى نحـو ولا لـغـة ولا * عـروض ولا شيء رضى لـه تـاحـا

ألم تَرْتَعِدْ كِلْتَا يديه تَوَجُّـسّـا * وهـــو غدير يلقى قـاموسا سـاحـا

ألا يا المزراء يا أحمد الكُـكِيّ * ألم تر أنّ الصرف لم يحـك ذا لاحـا

سمعت من يهوى ويمضى تمدحا * وما أنت يا دعبوس من حقّ الأمداحا

فهلاّ تموت الآن غـيـظا لأنـه * خَـمِلْتَ خمول النجم إذ قمر لاحـا

أنا طعام مرّ من يذقنى يمجّنى * ومن ذاقنى لابدّ أن قاء أو تاحا[8]

استعمل الشاعر في القصيدة صورا فنية جسد بها فكرته ، نراه يتعجب عن أخيه كيف يهجوه وهو ركيك الأسلوب وجاهل عن قواعد اللغة والعروض ،فقد استعمل القاضي أساليب التشبيه لنيل خصمه وتقليل شأنه وعلمه، وفى المقابل تعظيم نفسه بسعة العلم والنبوغ كما فى قوله:(وهو غدير يلقى قاموسا ساحا) ، فقد هجاه بقلة العلم وديق الؤفق فهو غدير بين يدي البحر المحيط ، بينما شبه نفسه بالبحر المحيط تعبيرا عن كثرة علمه وثقافته وسعة أفقه فهو كالقاموس، ويمضى القاضي يهدد خصمه بالموت والفناء تحقيرا به فى قوله :(خملت خمول النجم إذ قمر لاحا) حيث شبه نفسه بالقمر وخصمه بالنجم فإذاطلع القمر فلا نور للنجم، وفى قوله:(أنا طعام مُرّ) أسلوب من أساليب التهديد والتخويف يستعمله بعض السنغاليين تعبيرا عن الشدّة والصلابة أمام خصمهم ، ونرى الشاعر أيضا يعبر عن جهل خصمه بالعربية والإسلامية تهكما فى قوله (وليس بذي بذى نحو ولا لغة ولاعروض ولا شيء رضى له تاحا) على سبيل الكناية والتهكم، ونلاحظ في البيت الاقتباس مع التغيير في (طه) .

3- أرجوزة فى علم العروض و القافية ، بلغ عدد أبياتها(384) بيتا

على حدّ قوله فى أواخر الكتاب :

هذا و أحمد على إتمام * مبيّن الإشكال ذا الإنعام

حوى ثلاثمائة وأربعا * ثمّ ثمانين تعدّدت معا

نظما أبان المشكلات حاصدا * قواعد العروض والمقاصد[9]

نجد فى البيت الثالث من تلك الأبيات أسلوبا بيانيا رائعا يعبر به الشيخ عن تمكنه من جمع القواعد العروضية التى شبهها بحصاد الزرع مشيرا إلى مهنته الزراعية.وقد درس القاضي الدوائر العروضية في الكتاب وهي:

الدائرة العروضية حلقة يمكن البدء فيها من نقطة معينة على محيطها للحصول على بحر معين ، وإذا ابتدأنا في الدائرة نفسها من نقطة ثانية في مكان آخر من المحيط فإننا نحصل على بحر ثان، وهكذا،يقول القاضي :

أمّا الدوائر بغير لبس * فعددت ترتّبا بخمس

مختلف مؤتلف ومشتبه * مجتّلب متّفق فلتنتّبه

وبينها تقسم أنواع البحور * من الطويل بالولا إلى الأخير

3- الشيخ الحاج مالك "سِهْ" المولود في سنة :(1855م) فى قرية"كَايَهْ" من القرى المجاورة بمدينة"دَكَنَهْ"فى منطقة "وَالُو"، وقد تجول الشيخ في مدن وقرى لطلب العلم وتعليمه ثم استقر أخيرا فى

مدينة "تِوَاوِنْ" ينشر العلم ويربى أبناءه وتلاميذه حتى توفى :(1922 م) [10] وقد ألف دواوين وقصائد فى مختلف الموضوعات ، من أشهرها: ديوانه: خِلا ص الذهب فى سيرة خير العرب . وقصيدته :(لقدهاج قلبي) وهى فى مائة وأربعين بيتالمدح النبي . وديوانه قنطرة المريد.

ويقول في مقدمة خِلَاص الذهب:

الحمد لله ذى الإيجاد والقـــدم * ممدّنا بوجود البدر ذى القدم

ثم الصلاة وتسليم يفوق على * مسك ورند على ذى الفضل والقدم

وءاله المهتدين الخيرة الكرما * المأتمى سيرة المختار والقدم

ما أرعد الرّعد والورقاء تنحب من * هديلها وجرى دمع من القلم [11]

تتضمن الديوان صورا فنية رائعة ففى قوله:(ممدنا بوجود البدر..) استعارة حيث استمل البدر للممدوح وهو الرسول صلى الله عليه وسلم ليلفت الأنظار إلى علو مرتبته وعزّته ، ونراه أيضا يستعمل الإستعارة التخييلية ، إذ تخيّل أنّ للقلم عينا يجرى منه الدمع، لتشابه جريان الحبر على القلم بهطول الدمع من العين ، وذلك فى قوله : (وجرى الدمع من القلم) و كذلك تخيّل الشيخ أنّ الصلاة والتسليم طيبان تفوق رائحتهما رائحة المسك والرند ، فى قوله (ثمّ الصلاة وتسليم يفوق على مسك ورند) ، كلّ هذا وغيره من الأساليب البيانية تدل على سعة ثقافته وتمكنه من استعمال البيان الرائع فى الشعر العربي السنغالى.

ويقول الشيخ في مقدمة قصيدته اللامية فى مدح سيّد بنى عدنان – صلى الله عليه وسلم– التي سماها : (لقدهاج قلبي) وهى فى مائة وأربعين بيتا ، منها :

لقد هاج قلبي للحنين عجول * وركب إلى واد العقيق عجول

وقلت لعينى إن تخلفت أسبل * بأمطار شوق كالعقيق تسيل

أنوح كما ناحت حماة أيكة * يهيّجها نحو البكاء هديل

ودونى يعقوب على فقد يوسف * وترحمنى وقت النواح ثكول

فواكبدا من حبّ من لم ألاقه * وبحر اشتياقى للهيّام يهول[12]

استفتح الشاعر هذه القصيدة الرئعة بالغزل الرائع التقليدي مما يدل على تأثره بالشعراء القدامى ، ونجد القصيدة أساليب بلاغية ، منها أسلوب المجاز العقلي بقوله (لقد هاج قلبي للحنين عجول..) حيث أسند فعل هاج إلى غير الفاعل الحقيقى وهو عجول ، بيد أنّ الفاعل الحقيقى هو الحبّ والشوق ، ومنها الجناس التّام بين لفظ عجول فى صدر البيت وعجول فى عجزه فالأول بمعنى العذراء ، والثانى السرعة أوواد في المدينة ، ونراه فى البيت الثانى يستخدم الإستعارة والتشبيه المرسل المفصل، وفى قوله:(وقلت لعيني) مجاز

حيث أنزل غير عاقل منزلة العاقل مجازا ، والقرينة :(قلت) وكذلك فى قوله :(أسبل بأمطار شوق) حيث استعار الأمطار للدموع، إشارة إلى شدة الشوق والمحبّة ، وفي قوله: (بأمطار شوق كالعقيق تسيل) التشبيه المرسل المفصل حيث شبه الدموع بالعقيق السائل، وفى البيت الثالث والرابع التشبيه البليغ فى قوله :(أنوح كما ناحت حمامة أيكة) وكذالك فى قوله:(وقت النّواح ثكول) حيث شبه نياحه بنياح حمامة الأيكة ، ونواحي الثكلى.

تعبر هذه الصور البلاغية قدرة الشاعر على تعبير شعوره وخياله و وجدانه بأسلوب يجذب القلوب والعقول إلى فكرته وعاطفته ، ونراه يعبر عن شدة الحبّ والإشتياق بأمطار الشوق ، أضف إلى ذلك مهارته فى اختيار الألفاظ الجزلة التى تناسب عاطفة المدح والشوق مثل لفظة هاج ، وعجول ، وهديل ، وثكول.

4- الشيخ أحمد"بَنْبَ أَمْبَكِيُّ" الخديم الذي عاش (1853 – 1927م [13] مؤسس الطائفة المريدية فى السنغال التي مركزها مدينة طوبى، وله منظومات كثيرة تحمل صورا بلاغية تعبر عن براعته و إجادته لصناعة الشعر الجيّد الذي اشتهر به ، ومن أشهر منظوماته: ديوانه: مسالك الجنان فى جمع مافرقه الدّيمان، وديوانه: مواهب القدوس فى نظم نثر شيخنا السنوس. ونرى الشيخ يتحدث في مقدمة ديوان مسالك الجنان عن الفكرة التى دعته إلى نظمه قائلا:

سميته مسالك الجنان * فى جمع ما فرقه الدّيمانى

إذ كلّ ما نصّ به فى الخاتمة * جئت به فى ذا الكتاب ناظم

فكلّما فيه صحيح اثبتا * فحسّن الظنّ به و أثبتا

ولايصدّك عن القبول * كونى قصير الباع فى ذا الجيل

ولايصدّك مدى الازمان * عن أخذه كونى من السودان

إذ أكرم العباد عند الله * أكثرهم تقوى بلا اشتباه

فليس يوجب سواد الجسم * سفاهة الفتى وسوء الفهم [14]

استعمل الشاعر فى القصيدة بعض القوالب الفنية ، ليقرب وجهة نظره وفكرته للإيضاح والإ فهام ، نجده يستعمل أسلوب الاستعارة في قوله: (سميتها مسالك الجنان) باعتبار أنّ تطبيق جملة ما في الكتاب يفتح طريقا إلى الجنة بلا بهتان. ونراه يستخدم أسلوب الخبر الإبتدائي في قوله :(فليس يوجب سواد الجسم سفاهة الفتى وسوء الفهم) والإنشاء الطلبى فى قوله :(فحسّن الظنّ به وأثبتا) وقوله :(ولايصدّك عن القبول....) كمانراه يدلى أسلوب الكناية عن الصفة في قوله:(كونى قصير الباع) كناية عن قلّة العلم ، للتعبير عن تواضعه ، فهو مشهور بمكانته العلمية، إذهو من كبار الشيوخ والعلماء في البلد وله شهرة وباع طويل في خدمة الإسلام وعلومه.

ونراه في ديوانه : مواهب القدوس يتحدث عن التوحيد وما يجب فى حقّ الله وفى حقّ الرّسل قائلا:

اعلم بأنّ ما من الحكم جرى * فى العقل فى ثلاثة انحصرا

وهى وجوب واستحالة وما * يعرف بالجواز عند العلما [15]

استخدم الشيخ في الأبيات بعض ا لأساليب البلاغية ، مثل الإنشاء الطلبي الخارج عن أصله إلى الترغيب فى قوله(اعلم) ، والتشبيه المرسل المفصل فى قوله:(فالواجب الّذى أبى عقل سليم عدمه ككون ذى العرش القديم) حيث شبه الواجب الوجود بوجوب كون ذى العرش قديما، إذ لا يقبل العقل السليم عدم وجودالله قديما، وهذا يدل على ذكاء الناظم وقدرته على شرح فكرته ، بالوسائل البلاغية ، ونراه كذلك يوضح فكرة المستحيل قائلا:(والمستحيل ..... كأن يكون فى البرايا القدم كزعم بعض السفهاء ذوى الوهم) حيث شبه المستحيل باستحالة قدم البرايا، ونراه يسلك نفس الأسلوب فى بيانه عن الجائز فى قوله: (والجائز..كموت شخص عاجلا أو ءاجلا..) فشبه الجائز بموت الإنسان عاجلا أوآجلا.

5-الشيخ محمد بن الحاج عبد الله نياس المشهور بالخليفة الذي عاش في فترة: (1881 - 1944م) [16] وهو من كبار الشعراء والأدباء والعلماء فى السنغال ، له مؤلفات شعرا ونثرا ، ومن أشهرها ديونه : خاتمة الدّرر على عقود الجوهر فى مدح سيّد البشر وذكر سيرته صلى الله عليه وسلّم، وقصائد الديوان مرتبة على الحروف الهجائية . منها:

أثار الهوى برق على المزن قد بدا * يضيء حبيا مثل حاشية الردا

فبت رقيبا للضياء أشيمه * فلله ما قد هاج من راعج الهوى

يضيء أعلى مزن ثقال تسوقها * رعود إلى الأوطان تعشق الفلا

سقى وبله أرض الأحبة لم يدع * بها منزلا إلا أجاد به الحيا

أيا برق عرج نحو ساكن طيبة * وجد برباها ما تحبّ وما تشا [17]

تحدث الشاعر فى مطلع الديوان بأسلوب الغزل العفيف ذاكرا كيف يحرك الهوى والشوق قلبه مستخدما ببعض الصور البيانية ، فشبه ارتفاع المزن أى السحاب حين أثار به الهوى بارتفاع طرف رداه حين تهب الرياح ، وشبه نهوضه من فراسه لما حرك الهوى والشوق قلبه إلى حضرة سمّيّه محمّد صلى الله عليه وسلّم ، بحالة ارتفاع المزن لما أثار به الهواء ، فبات يراقب ضياء وجهه ونوره صلى الله عليه وسلّم الّذى أضاء قلبه كما أضاء البرق المزون الثقال التى تسوقها الرعود إلى الأوطان والفلا، فسقت وابلها أرض الأحبة ، فلم تدع عنها منزلا إلا أحيته جودا وكرما، وهكذا قلب الشيخ يمتلىء بنور محبّة للرّسول صلى الله عليه وسلّم التي أحيت قلبه الحياة الحقيقة ، اختار الشيخ

بمهارته وافطنانه هذا التشبيه التمثيلي الرّائع ليكشف ويقرب إلينا ما يعانيه قلبه من الهوى والمحبّة الصادقة لسيّد البشر صلى الله عليه وسلّم ، ونرى الشيخ يورد فى البيت الخامس المجاز فى قوله :(أيا برق عرج..) حيث يقصد بالبرق المزن . و يقول الشيخ فى قصيدته الميمية فى الديوان:

فيه اهتدى للحقّ من سبقت له * منه العناية إذ أباه مجرم

واعتاده للحرب أجرد سابح * ومهنّد ماضى الغرار ولهذم

لم يثنه بيض الصّفاح وقد غدت * نار الوغى بين الصّفاح تضّرم

متدرّع تقوى الإله وصحبه * مثل الأسود لدى النّزال تغمغم

يصطاد فى الهيجاء كلّ مدجّج * ماض إذا نادى الكمىّ المعْلم[18]

تحدث الشيخ محمد عن شجاعة الرسول صلى الله عليه وسلّم واعتياده بالحرب متدرعا بتقوى الله فى المعركة الحامية الوطيس تعلو عليها الغبار الكثيف كليل مظلم، لمعان القوابض نجومه، وترى الدم ينهمر كسيل من اليمّ ، وفى هذه الظاهرة المرهبة ترى الرسول يبتسم ويصطاد كلّ عدو بطل مدجج . ونرى في القصيدة بعض الصور البلاغية ، التى منها : المجاز العقلي الرائع فى قوله: (واعتاده للحرب أجرد سابح ومهنّد) حيث أسند الفعل إلى فاعل غير حقيقي بل اعتاده للحرب الجهاد فى سبيل نشر الدين الإسلامي وإقامة العدل والأمن والرخاء، ولكن تلك الآلات الحربية التى يسختدمها الرسول كأنها تعوده الحرب ، ومنها أسلوب التشبيه التمثيلي فى قوله

والخيل ثائرة العجاج كأنّه * ليل تراكم والمناصل أنجم

يعبر عن كثافة الغبار التى تثيره الخيول أثناء المعركة ، ولمعات السيوف فى ساحة الحرب فكأنها نجوم اليل الدامس لايرى فى السماء إلا لمعات النجوم . ونراه أيضا يعبر عن شجاعة الصحابة –رضوان الله عليهم – بأسلوب التشبيه المجمل فى قوله :(وصحبه مثل الأسود لدى النزال) فقد كشف لنا الشيخ شجاعتهم وإقدامهم فى ساحة القتال ، ونراه فى قوله :(يصطاد فى الهيجاء كلّ مدجّج) يصور مهارة الرسول صلى الله عليه وسلّم فى المبارزة فهو صياد فى الغابة يراوغ على اصتياد الظبية ، على سبيل الاستعارة ، فالحرب خدعة ، ويفهم من قوله :(كلّ مدجج) إيجاز الحذف حيث ذكر الصفة دون الموصوف وتقديره:(كلّ بطل مدجّج) وهذا الأسلوب يسمى المجاز بالحذف.

وللشيخ : كتاب سماه الجيوش الطّلع بالمرهفات القطع ، وهو أرجوزة للرّدّ على ابن مايأبى الجكنى الشنقيطى ، الموريتاني الذي ألف كتابا سماه : "مشتهي الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني ، وإن شت قلت في تكفير.. إلخ [19]، ولذلك ردّعليه الشيخ بالكتاب منه:

قال العبيد الكولخي محمـــد * سليل عبد الله وهو يحمـــــد

من خصّه بواضح البيـــــان * من بين كل البيض والسودان

هذا ولمّا انتدب الأشقى إلى * سبّ إمام الأولياء الفضـلا

جرّدت من قريحتى مهنّدا * عضبا لأسقيه به كأس الرّدى

عرضت نفسي إلى الطعان * والضّرب دون شيخنا التّجاني

أرجوزة قامت مقام الجحفل * فى ردّ جيش المنكر المغفّل

سميتها بالمرهفات القطع * إلى ابن مايابى أخى التّنطع[20]

استخدم الشيخ محمد فى هذه الأرجوزة صورا فنية يعبر بها عن فكرته منها أساليب الاستعارة ، حيث استعار:(الجيوش الطّلع بالمرهفات القطع) اسما للديون، والمجاز فى قوله (جرّدت من قريحتى مهندا) فالتجريد مجاز مرسل علاقته محلية ،والقرينة لفظ القريحة، وكذالك أسلوب الإستعارة فاستعار المهند لحججه البليغة القاطعة، كمانراه يستخدم الجناس الناقص :(الطّلع ـ القطع) وأسلوب السجع المتوازن فى قوله: (الجيوش الطّلع بالمرهفات القطع إلى ابن مايأبى أخى التنطع) ، فقد إختار الناظم الألفاظ المناسبة لموضوع ديوانه، واستعمل الأساليب البلاغية القادرة على تصوير فكرته بصورة حيّة ، تضع لنا مشهدا مكشوفا ، حيث نرى الجيش الجرار المدجج بأسلحة فتاكة ليسحق به جيش المنكر ، وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية فى قوله:(جرّدت من قريحتى مهنّدا عضبا) حيث إستعار مهنّدا عضبا لنظمه وحججه القاطعة باعتبار أنّ الكتابة آلة من آلات الحرب والقتال وخاصة الحرب الباردة التى تقع بين الشعراء والكتاب ، مثل التى حدثت بين جرير والفرزدق وبين المتنبى وخصومه، و أورد فى قوله :(لأسقيه به كأس الرّدى) استعارة تخييلية حيث استعار للردى كأسا يسقيه خصمه ، فذكر الكأس وأراد ما فيه مجازا مرسلا علاقته المحلية، وتخيّل المهند الحادّ سمّا قاتلا استعارة تخييلية ، ونراه فى قوله:(أرجوزة قامت مقام الجحفل) يشبه الأرجوزة بالجنود المجهزة في أهبة كاملة للهجوم ، واستعمل فى قوله :(فى ردّ جيوش المنكر) استعارة تصريحية حيث صرّح لفظ المشبه به :(جيوش) للمشبه.

لقد استخدم الناظم الأسلوب البديع حيث أعد الجيش اللفظي الجرّارا لمواجهة من يعتبره عدوا ظالما ليردّ أفكاره التى صورها الناظم جيشا عدوانيا، ونرى شخصية الشاعر تظهر في تعبيراته التي تحمل معان وقيما أدبية التي جردها من فكرته وقريحته.

6- وهذا الشيخ إبراهيم بن الحاج عبد الله نياس الكولخي:(1902- 1975م)[21]ولد فى قرية الطيبة وهى تبعد عن الكولخ حوالي خمسين كلوميترا ـ رحمه الله ـ فالشيخ من أكابر العلماء والشعراء والكتاب والمفكرين و المتصوفين، وله مؤلفات عديدة شعرا ونثرا

فى مختلف الميادين العلمية العربية والإسلامية ، ومن أشهر شعره الدواوين الستة، في مدح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وديوانه نور البصر في سيرة خير البشر، و كتابه روح الأدب لماحوى من حكم وأدب ،ومجموع الرحلات الشعرية ، وكتاب جواهر الرسائل وكاشف الألباس وغيرها.

يقول فى مطلع ديوان تيسير الوصول:

أبى القلب إلاّ أن يكون متيّما * حليف غرام بالنّبيّ مهيّما

أبيت بليل التّمّ سهران منشدا * لذكرالّذى قد طاب بدءا ومختما

أساجل فيه الورق ليلى وجيرتى * نيام و جفنى كالمذانب مغرما

أنظّم درّ اللّفظ فذكر وصفه * وأحسن بوصف البدر درّا منظّما[22]

نرى الشيخ فى هذه الأبيات يستخدم الصور البلاغية للتعبير عن فكرته وعاطفته المدحية الجيّاشة ، التى تبرز محبّته للنبّى صلى الله عليه وسلّم وفنائه فيه، ومنها: الجناس الناقص :(متيّما – مهيّما) والإيجاز بالحذف فى قوله:(أبيت بليل التّمّ) حيث حذف موصوف التّمّ أى أبيت بليل البدر التّمّ ، ومنها التشبيه المرسل المجمل فى قوله :(وجفنى كالمذانب) ومنها أيضا الإستعارة التصريحية حيث صرّح لفظ المشبه به بقوله : (أنظّم درّ اللفظ) وفى قوله:(وأحسن بوصف البدر درّا منظّما) حيث استعارة لفظة الدرّ للكلمات والبدر للممدوح ، والقرينة للدرّ: (اللفظ) والعلاقة الصياغة والتنظيم، وأما البدر فقرينته المدح والعلاقة جمال الوجه والعلو، وهذا أسلوب من أساليب البلاغة فى التعبير عن الجمال والعلو، فجمال الرسول وعلوه ـ صلى الله عليه وءاله وسلّم فوق هذا التصور عند الشاعر، والله أعلم .

وفي ديوانه: نور البصر، فى سيرة سيّد البشر، يقول فى مطلعه:

أذّكار الأحباب بلبل بالى * فغروبى تهمى لذا البلبال

فاشتياقى إليهم وغراب الـ ـبين أقرى الجفون بالتهمال

وأنا سهران وهزهزنى هبـ ـب رياح من البقاع العال

فتنتنى تلك البقاع وهاجت * فكرتى إذ خصّت بختم الرّسال[23]

تناول الشيخ في الديوان صورا فنية يعبر بهاعن فكرته الهادفة لحبّ الرسول صلى الله عليه وسلم ،الحبّ الذي يمنعه من النوم،وأن بعد ديار حبيبه دفعه إلى كثرة التفكير والبكاء . وأول ما نستمتع من تلك الصور قوله: (نور البصر، فى سيرة سيّد البشر) الذى يتضمن كلا من المجاز المرسل والسجع الممتاز حيث جعل الفقرة الثانية أطول من الأولى، و نرى الكناية عن البعد فى قوله:(فغروبى) وفى قوله :(غراب البين) أى بعده عن الأحبّة ألزم عليه البكاء، وفى قوله :

(أقرى الجفون بالتهمال) المجاز المرسل علاقته الجزئية حيث ذكر الجفون وهى جزء من العين، ونراه ايضا- رحمه الله – يعبر اشتياقه الشديدة واستعداده إلى حضرة حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلّم ، بأسلوب المجاز العقلي حيث أسند الفعل :(فتنتني) إلى غير فاعله الحقيقي فى قوله:(فتنتنى تلك البقاع وهاجت فكرتى).

و يقول في كتابه روح الأدب:

فلست فى أخذ الطريق تربح * إلاّ إذا كنت دواما تصلح

مكمّلا شروطه المقرّرة * مكابدا آدابه المعتبرة [24]

والكتاب أرجوزة فى مائة وواحد وعشرين بيتا ، تحدث فيها عن ماهية الطريقة التجانية وآداب الورد التى منها ملازمة الأذكار ، والتأدّب فى الظاهر والباطن ، والحرص على الأوقات ، والصبر على البلاء والشدائد والشرور وغيرذلك من نصائح ، وقد استخدم الشيخ فى الكتاب الأساليب البلاغية للشرح والتقريب أفكاره الهادفة وتوجيهاته وإرشاداته ، نراه فى قوله :(فلست فى أخذ الطريق تربح) يستعمل الاستعارة المكنية حيث ذكر لفظ المشبه :(أخذ الطريق) ثمّ حذف لفظ المشبه به (التجارة) ورمز له بشيء من لوازمه وهو الربح أى شبه أخذ الطريق بالتجارة بجامع الربح ، فآخذ الطريقة لايربح إلاّ بمواظبة العمل والإصلاح .

7- وهذا الشيخ أبوبكر بن الحاج مالك "سِهْ":(1885 - 7 195)[25]-رحمة الله عليهما- كان من كبار الشيوخ والشعراء والعلماء ، له ديوان يحتوى على سبعة أقسام وهى:المحمّديات ، التجانيات ، المالكيات ، التوسلات الإلهيات،المرثيات ، العمريات ، والإرشادات.

وأما المحمديات فهمزية ، سماها:درّة الغيداء و زبرجد البيضاء فى مدح البشير النذير خاتم الأنبياء وإمام المرسلين سيّدنا محمّد صلى الله عليه وسلّم يقول فى مطلعها متغزلا:

تفارقت بنواحى حـــبّ خنـــساء * يالهف نفسى هل فى المصر وجناء

يغنيك عن ذكر سلمى طيب مبسمها * ليلى فتنسى عن الأفكار أسماء

فيها طلا كغزال حين لحظتها * ععينا طلا وكحيل الطرف هيفاء

تسبيك منها نسيم الجرم فائحةً * كأنّ منظرها فى النّظر لمعاء

أوروضةٌ لعبت أيدى الرياح على * مزن التجاويد فى الئافاق وَطْفَاءُ

فارت مناهلها للهطل وانفجرت * تعطى المناهلَ بيضاءٌ وحمراءُ

كأنّ أزهارها فوق الرّبى مرحا * مثل نجوم سماء وهى ظلماء [26]

استفتح الشاعر هذه القصيدة بالغزل العفيف ومعبرا فكرته بالصور البلاغية التي منها: التشبيه المفصل فى قوله :(فيها هيفاء طلا كغزال حين لحظتها) والتشبيه التمثيلى فى قوله: (كأنّ منظرها فى النظر لمعاء أوروضة ..) وفى قوله أيضا:(كأنّ أزهارها فوق الرّبى مرحا مثل نجوم سماء وهى ظلماء) شبه الشاعر الروضة وأزهارها البيضاء بنجوم السماء في ليلة ظلماء، فإذا تأملنا وجه الشبه نجد أنّ الصفات المتعدة تنتزع منه ، و نرى الشاعر قد صور الروضة تصويرا بديعا تتمتع به الأبصار ، وتتفتح به العقول وترتاح منه النفوس.

8- الشيخ أحمد عيان "سِهْ":(1913-1984م)[27] ولد فى مدينة "انْدَرْ":(سَانْلِوِى) عاصمة السنغال السابقة للاستعمار الفرنسى ، وكان الشيخ من أكبر العلماء والشعراء، ومن أحسنهم شعرا و أوفرهم به ، وله: تسع عشرة قصيدة فى الأمداح النبوية، بلغ عدد أبياتها: 1452 ، وتسع عشرة قصيدة فى الأمداح التجانية عدد أبياتها :691، وست عشرة قصيدة فى الرثاء عدد أبيتها :286

وثلاث عشرة قصيدة فى مدح شخصيات دينية وسياسية، عدد أبياتها:270 ،و ثمان قصائد فى التوسل عدد أبياتها :218 ، وخمس قصائد فى الافتخار وإشادة مجد الآباء فى56 بيتا. وقصيدتان فى الهجاء، في31 بيتا. وثمان عشرة القصائد منوعات فى:194بيتا، فيها الثلاثيات والثنائيات [28]

ومن شعره قصيدته الرّائية التى التزم فيها ما لا يلزم حينما كان يخاطب مدينته مستخدما بعض الأساليب البلاغية ، قائلا:

يا"اندر"من بين البلاد افتخرى * ما شئت يالك بأن تفتخرى

كم حزت من حبر صميم المفخر * بين الورى معظم مؤمر

ومن مرب طاهر مطهر * لغيره ومصدر مصدر

ومفلق من شاعر محرر * ومن جواد كالسحاب الممتر

وحافظ جامع كلّ سرور * فى صدره القرآن كالمصور[29]

نرى الشاعر فى هذه القصيدة يخاطب مدينته منزلا بها منزلة العاقلة التى تحظى بامتيازات كثيرة ألتي تؤهلها التفخر أمام مثيلاتها من المدن، فهي أمّ تحتضن علماء ذوي القدر، ومرب طاهر الخلق تربى فى حجرها، وشاعر أديب عبقري ارتضع بثدييها، وجواد تغطبت به السحب الممطرة لجوده الذي يشمل الداني والقاصي.

استخدم الشاعر أساليب التشبيه المفصل والمجمل كما فى قوله :(ومن جواد كالسحاب الممتر) تعبيراعن جود أهل مدينته وكرمهم ، وكذلك في قوله :(وحافظ جامع كل سرور فى صدره القرآن كالمصور) بيانا عن ذكاء أبناء مدينة "اندر"وعبقريتهم فى جمع العلوم وحفظ القرآن الكريم، فصدورهم كآلة التصوير وتمكنها من تلقى صنوف العلم والحكم .

الخاتمة:

رأى الباحث أن اللغة العربية لعبت دورا كبيرا فعّالا في تثقيف عددا كبيرا من أبناء السنغال فقد تمكن كثير منهم من تأليف الكتب الإسلامية والعربية، وقرض الشعر العربي الجيد مقطوعة وقصائد ودواوين بمختلف الموضوعات في جميع أغراض الشعر العربي

تناول الباحث خلال هذ البحث بدراسة مجموعة من العلماء والشعراء السنغاليين وبعض مؤلفتهم ونماذج من أشعارهم الممتازة التي تمثل جانبا من جوانب ثقافاتهم الأدبية والعلمية التي حصلوا عليها عن طريق اللغة العربية أضف إليها ما اكتسبوه من مهارات التعليم والتدريس في جميع المراحل من الإبتدائية إلى الجامعية وكذلك تمكن بعضهم من آداء وظائف إدارية ودعوية جيّدة تنتج منافع لهم ولغيرهم .يوصي الباحث جميع مسفيدين من اللغة العربية إظهارمهمات اللغة العربية والأدوار التي تلعبها لتثقيف الإنسان وإعطائه المنزلة الرفيعة. ونحن السنغاليون نعتز باللغة العربية.

الهوامش والمصادر

القرآن الكريم

1–عثمان إنجاي2005م صفحات من تاريخ السنغال عبر العصور، مطبعة خطاب ، القاهرة ،مصر ص21

1– **شيخ امبكي انجاي (1418)السنغال من منظور جغرافي مطبعة دار الرشاد جدة،ص ص20–21**

2–أحمَد "جُوفْ "بن تفسير"بَابَ جُوفْ"البربيّ السنغاليّ ،**تاريخ المدارس القرآنية بغرب إفريقيا** ، والكتاب مطبوع ومنشور، لم يذكر المؤلف مكان طبعه وتارخه ولكنّه كتب:انتهى ببربي يوم الجمعة غرّة الربيع الثانى 1419موافق24 يليو 1998م ص42–44.

3–عامر صمب ،(الدكتور) **الأدب السنغالى العربى** ، مطبوع ومنشور، مطبعة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، غير مؤ رخ ، ج2، ص70.

4– المتنبي، **ديوان المتنبي** ، مطبعة الزهراء للإعلام العربي 2004م ، ص4.

5–شيخ تجان "غَائ"بمدينة "لُوغَا "– السنغال ،**كتاب القاضى الأريب "مَجَخَتِى كَلَ"** وهو دارسة مستفيضة عن حياته وإنتاجاته الشعرية النفيسة ،ألفه شيخ تجان غاى مدينة لُوغا ،.ص75–76

6–عثمان أبْجاى ابن"سَرِنْجَ"بابكرمن مواليد 1974/12/12م فى مدينة "تواوون" السنغال، **كتاب صفحات من تاريخ السنغال عبر العصور**،مطبوع بمطبعة خطاب 47شارع قصر النيل القاهرة ت/2005، تقديم/الأستاذ الدكتور محمد سالم أبوعاصى،راجعه الدكتور/عبد الغفار، ص50.

7– الأدب السنغالى العربى ، المرجع السابق،ج2 ، ص70.

8– المرجع نفسه ،ج2 ، ص71.

9– المرجع نفسه ،ج2، ص82 .

10– تاريخ المدارس القرآنية بغرب إفريقيا، المرجع السابق ص105–106.

11– الحاج مالك "سِهْ" الشيخ، خلاص الذهب فى سيرة خير العرب مطبعة إفريقيا "رِفسْكَ" ، غير مؤرخ، ص3.

12– الحاج مالك "سِهْ"(الشيخ) ، لقد هاج قلبي ، مطبعة إفريقيا "رفسك"السنغال غيرمؤرخ ، ص1–2.

13– تاريخ المدارس القرآنية بغرب إفريقيا، المرجع السابق ، ص116.

14–أحمد" بَمْبَا" الخديم (الشيخ)، مسالك الجنان ،غير مؤرخ ، ص5–6.

15– أحمد" بمبا"الشيخ الخديم ، مواهب القدّوس ، غير مؤرخ ، ص4–5.

16– الأدب السنغالى العربى ،المرجع السابق ،ج 2، ص6.

17– محمّد بن الشيخ الحاج عبد الله نياس المشهوربالخليفة ، ديوان **خاتمة الدررعلى عقود الجوهر فى مدح سيد البشر** ، والديوان مطبوع ومنشور، طبع بمطبعة دارالتأليف ، ج1ص22–25.

18– المرجع نفسه ،ج1ص386–387.

19–محمد الخضر الجنكي الشنقيطي،**مشتهي الخارف الجاني في ردزلقات التجاني الجاني**،دار البشير،عمان الأردن الطبعة الثانية ،1414ه 1993م ، ص6.

20– محمد بن الحاج عبد الله نياس الخليفة ، **الجيوش الطلّع بالمرهفات القطّع** ، مطبع دار التأليف يعقوب–السيّدة زينب ، ص13–21.

21– تاريخ المدارس القرآنية بغرب الإفريقيا، المرجع السابق ، ص116 .

22– إبراهيم بن الحاج عبد الله نياس (الشيخ) ، روح الأدب ،غيرمؤرخ ، ص1.

23– إبراهيم بن الحاج عبد الله نياس ، **الدواوين الستة** ، مطبعة دار الفكر بيروت 1429ه 2008م ، ص7.

24–إبراهيم بن الحاج عبد الله نياس،**نورالبصر فى سيرة خيرالبشر**،غيرمؤرخ، ص1.

25– الأدب السنغالي العربي، المرجع السابق ج2 ، ص163.

26– أبوبكر بن الحاج مالك سه ، ديوان شعرية جامعة مخطوطة ، ص2.

27– تجان "غَائ"بمدينة "لُوغَا "**كتاب المرشد الشاعرالشيخ أحمدعيان "سِهْ** "،مطبوع أشيف سنغالي بشارع تيش ، دكار،2003م، ص11–21.

28– المرجع نفسه ، ص25 .

29– المرجع نفسه ، ص7.